بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وأمينه على وحيه ومبلِّغُ الناس شرعه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد: فإنَّ أشرَفَ ما اكتسبَته النُّفوس وحصَّلتهُ القُلوب ونال به العبدُ الرِّفعةَ في الدُّنيا والآخرة الإيمان.

فالإيمانُ أشرفُ المطالب وأجلُّ المقاصدِ وأنبلُ الأهدافِ على الإطلاق.

وهو سببُ العِزِّ والفلاح والرِّفعة في الدُّنيا والآخرة.

بالإيمان تُنال أشرفُ المطالب وأجملُ المواهِب.

وبالإيمان يَنالُ العبدُ جنَّةً يومَ القيامةِ عرضُها كعرضِ السموات والأرض أُعدّت للمؤمنين.

وبالإيمانِ ينجُو العبدُ من النَّار وحرِّها الشديد وقعرها البعيد.

وبالإيمان ينالُ المُؤمن أشرفَ ما يُنال، ألا وهو رُؤيةُ الله جلَّ وعلا يوم القيامة كمَا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»(1).

وبالإيمان يُنال كُلُّ خير وفلاح ورفعة في الدنيا والآخرة ويُدفع كل شر وبلاء ونقمة.

* إنَّ الواجبَ على أهل الإيمان أن يحمدُوا الله جلَّ وعلا حمداً كثيرًا على مِنته عليهم به وهدَايتهم إليه كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات:7].

والإيمانُ هو الوصيَّةُ الجامعةُ والحجَّة السَّابغةُ ونعمةُ الله جلَّ وعلا على مَنْ شاءَ من عِباده، يقُول جلَّ وعلا: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ [الحجرات:7-8]، وروى مُسلم والإمام أحمَد في مُسنده واللفظ له عَن سُفيان بن عَبد الله الثَّقَفيِّ قال: قُلتُ يا رسُول الله قُلْ لي في الإسْلام قولًا لا أسأل عَنهُ أحدًا غيركَ، قال:

(1) أخرجه البخاري (رقم/ 554)؛ ومسلم (رقم/ 633) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

«قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»(2). فقد دلَّ هذا الحديث العظيم الجَامع على أنَّ الإيمان وصيةٌ جامعةٌ محيطةٌ بأبوابِ الخير وسُبل السَّعادة في الدُّنيا والآخرة. وليسَ الإيمانُ بالتَّمني ولا بالتحلِّي ولكنَّ الإيمانَ مَا وقَر في القَلبِ وصدَّقتْهُ الأعمَالُ.

* الإيمانُ عقائد صحيحة وإيمانيات راسخة؛ قَوامُها وبناؤها على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسُله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، ففي صحيح مسلم(3) من حديث عمر رضي الله عنه أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال: «أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ، قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

* الإيمانُ طاعاتٌ زاكيةٌ وعباداتٌ عظيمةٌ وقُرباتٌ متنوعةٌ يتقرَّب بها المُسلم إلى الله، ومباني هذه العِبادات خمسٌ جاء بيَانُها في حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حيث قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(4)؛ فهذه الأعمال الخمسة وسائر أعمال الدين وشعائره كلها داخلة في الإيمان، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما في ذكر مجيء وفد عبد القيس إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وفي الحديث قال لهم صلى الله عليه وسلم: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَه، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَان، وَأَنْ تُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»(5)؛ فدلّ هذا الحديث العظيم على أن شعائر الإسلام وأعمال الدين وأنواع الطاعات والقربات كل ذلك داخل في الإيمان.

* الإيمان شُعبٌ كثيرةٌ وأعمال متنوعة منها ما يكون باللسان، ومنها ما يكون بالقلب، ومنها ما يكون بالجوارح، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(6).

* الإيمان بُعدٌ عن الحرام وتوقٍّ للآثام وترك للذنوب، جاء في الصحيحين(7)

(2) أخرجه مسلم (رقم/ 38)؛ وأحمد (رقم/ 15416).
(3) (رقم/ 8).
(4) أخرجه البخاري (رقم/ 8)؛ ومسلم (رقم/ 16) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(5) أخرجه البخاري (رقم/ 4368)؛ ومسلم (رقم/ 17).
(6) أخرجه البخاري (رقم/ 9)؛ ومسلم (رقم/ 35) واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(7) أخرجه البخاري (رقم/ 5578)؛ ومسلم (رقم/ 57).

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، وقد دل هذا الحديث العظيم على أن ترك الحرام والبعد عن الآثام كل ذلك داخلٌ في مسمى الإيمان.

* الإيمان كفٌّ للأذى وبُعد عن الظلم ووفاءٌ بالعهود والمواثيق والأمانات، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(8)، وفي الحديث الآخر قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»(9).

* الإيمان تحابٌّ وتآخي وتوادٌّ وتعاون، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(10)، وفي الحديث الآخر يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(11).

* الإيمان تكافلٌ وتراحم وتعاون بين أهل الإيمان وبذلٌ للدعاء يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر:10].

* الإيمان استقامة على طاعة الله ومداومةٌ وملازمةٌ لعبادة الله وثباتٌ على دين الله إلى الممات يقول صلى الله عليه وسلم في حديث سفيان بن عبد الله الثقفي عندما قال للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ؟ قَالَ قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»(12).

* الإيمان جمال للمرء وزينة، وحلاوة ولذة، وله طعم ولذة لا نظير لها؛ يقول صلى الله عليه وسلم: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم رَسُولًا»(13)، وفي الحديث الآخر يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ

(8) أخرجه الترمذي (رقم/ 2627)؛ والنسائي (رقم/ 4995)؛ وابن ماجه (رقم/ 3934) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم/ 6710).
(9) أخرجه أحمد (رقم/ 12383) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم/ 7179).
(10) أخرجه البخاري (رقم/ 13)؛ ومسلم (رقم/ 45) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(11) أخرجه مسلم (رقم/ 2586) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(12) سبق تخريجه.
(13) (رقم/ 34) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[١٤]، وهو زينة وجمال يقول ﷺ في دعائه : «اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[١٥] وفي القرآن يقول الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

* إنّ الواجب على أهل الإيمان أن يرعوا الإيمان حق رعايته، وأن يعرفوا مقامه وقدره، وأن تكون عنايتهم به مقدّمة على عنايتهم بكل أمر؛ فهو أساس الخير والسعادة والفلاح والرِّفعة في الدنيا والآخرة.

وللإيمان أسباب كثيرة تزيده وتقوّيه أهمُّها: تعلُّم العلم النَّافع، وقراءةُ القُرآن الكريم وتدبُّره، ومعرفة أسماء الله الحسنى وصفاتِه العُلى، وتأمّل محَاسِن الدِّين الإسلامي الحَنيف، ودراسة سِيرة نبينا الكريم ﷺ وسيَر أصحابه الكرام، والتأمُّل والنظر في هذا الكونِ الفَسيح وما فيه من دلالات باهرة وحُجَج ظاهرة وآياتٍ بينة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١]، كمَا أنَّ الإيمان يزيدُ بالجِدِّ والاجتهادِ في طاعةِ اللهِ والمُحافظة على أوامِره وحِفظ الأوقات في طاعته وما يقرِّب إليه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[العنكبوت:٦٩].

وللإيمان أسبابٌ كثيرة تُنقصه وتُضعفه يجبُ على العبد المُؤمن أن يحترزَ منها وأن يحتَاط من الوُقوع في شيء منها؛ وأهمها: الجهل بدين الله، والغفلة، والإعراض، وفعل المعاصي، وارتكاب الذنوب، وطاعة النفس الأمّارة بالسوء، ومُخالطة أهل الفسق والفجور، وإتباع الهوى والشيطان، والاغترار بالدنيا والافتتان بها بحيث تكون غايةَ مُنى الإنسان وأكبر مقصوده.

روى الحاكم في «المستدرك»[١٦] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبَ الخَلِق، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ».

* نعم! إنَّ الإيمانَ ليخلَق أي: يضعُف وينقصُ ويتقَادمُ ويَبْلى كما يبلَى الثَّوبُ وكمَا يخلَق الثَّوبُ، والسَّببُ في ذلك: هو ما يُبتلَى به العبدُ في هذه

(١٤) أخرجه البخاري (رقم/ ١٦)؛ ومسلم (رقم/ ٤٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(١٥) أخرجه النسائي (رقم/ ١٣٠٥) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»(رقم/ ١٣٠١).
(١٦) (رقم/ ٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم/ ١٥٩٠).

الحياة من فعْلٍ للذُّنوب وغشيانٍ للمعَاصي فينقصُ بها الإيمان، وكذلك من جرَّاء ما يلقَاهُ العبدُ من فِتنٍ وصَوارفَ وصوَاد تصرِفُه عن الإيمان الذي خلقَه اللهُ لأجلِه وأوجَدهُ لتَحقِيقِه، وهاهُنا أرشدَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى ضرُورةِ تجدِيد الإيمان في القلب بالتوجُّه الصَّادق إلى الله جلَّ وعلا قال «فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[١٧] فالمقامُ يتطلَّب تَوجُّهًا صَادقًا إلى الله وسُؤالاً ملحًا إليه تبارك وتعالى أن يزيد الإيمانَ ويقوِّيه وأن يجدّده في القلب وأن يمكِّنه فيه والله تعالى يقول: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]. وأن يجِدَّ العبدُ ويجتَهدَ في تحقِيق الإيمان وتكمِيلِه وتقوِيتِه؛ فإنَّ الإيمان يقوَى ويضعف ويزيدُ وينقص.

ولمَّا تحقَّق سلفُ الأمَّة وصدْرها وخيَارُها بعِظَم شأنِ الإيمان وشدَّة الحاجَة إليه، وأنَّ الحاجَة إليه أعظم من الحاجَة إلى الطَّعامِ والشَّرابِ والهواءِ كانتْ عنايَتُهم به عظيمةً ومقدَّمةً على كُلِّ أمرٍ؛ فكانُوا يتعَاهدُون إيمانَهُم ويتفقَّدُونَ أعمَالَهم ويتواصَوْن بينهم، كان عُمر بن الخطاب رضي الله عنه يقُول لأصحابه: «هلمّوا نزددْ إيمانا»[١٨]، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقُول: «اجلسوا بنا نزدد إيمانا»[١٩]، وكان يقُول في دعائه: «اللهم زدنا إيمانًا ويقينا وفِقها»[٢٠]، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقُول: «تعالوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزدد إيمانًا بطاعته لعله يذْكرنا بمغفرته»[٢١]، وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «من فقه العبد أن يعلم أمُزداد هو أو منتقص»[٢٢] أي من الإيمان، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه، وكان عمير بن حبيب الخطمي رضي الله عنه يقول: «الإيمان يزيد وينقص» فقيل وما زيادته ونقصانه؟ قال: «إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيّعنا ونسينا فذلك نقصانه»[٢٣].

زادنا الله أجمعين إيمانا وثبتنا على الحق والهدى بمنه وكرمه إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

www.al-badr.net

(١٧) سبق تخريجه.
(١٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٦٦)؛ وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٣٤).
(١٩) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤).
(٢٠) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٧٩٧).
(٢١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٢٦).
(٢٢) رواه الخلال في كتاب «السنة» (١٥٨٥) وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٤٠).
(٢٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٢٧)؛ وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٦٢٤).

سلسلة التوحيد أولاً 76

فضل الإيمان

و أنه يزيد و ينقص

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

دار المحجة

شارك في الدعوة إلى الله بنشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية